٣ مدَّة الزمان غير مشروطةٍ في اتخاذ الكاتب حجَّةً ولذا يبقى كلام الاشموني «اشمونيًّا» اي فصيحاً يُهدى بهِ ويُقتدى. ويبقى كلام الجبرتيّ «جبرتيًّا» اي ركيكاً وان مرَّت عليهِ القرون والعصور ولذا لا يُعتدُّ بهِ ولا يُستشهد بهِ

وعليهِ فان ما احتجَّ بهِ حضرة الاستاذ الشرتوني من اقوال متأخري الفصحاء والبلغاء كالاشمونيّ وابن الاثير واضرابهما موافق كلّ الموافقة لشروط الاخذ عنهم كما تقدَّم. ومن ثم فلا باس من ان نحذو حذوهم. وزد على ما تقدَّم ان جماعة من ائمة اللغويين قد سبقوا حضرة العلامة الشرتوني في عملهِ هذا واستشهدوا بكلام «فصحاء المولَّدين» لاثبات الفاظ وعبارات لم تُنقل عن الاقدمين. ولابن عابدين الدمشقيّ كتاب ترجمهُ بـ «الفوائد العجيبة. في اعراب كلمات الغريبة» وهو كلهُ عبارة عن اوضاع من هذا النحو وقد استلَّها من كُتُب فصحاء المولدين وائمتهم كصاحب الصحاح والفيروزابادي والزمخشري وابن هشام والجلال المحلي. وغيرهم. وكذا فعل الثعالبيّ في كتابهِ: «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» وابن عيسى الهمذاني في كتابهِ «الالفاظ الكتابية» الى غير ذلك من مثل هذه الكتب فان «اغلب» ما ورد فيها أو «كلهُ» لا يُوجد في كتاب الاقدمين وتعابيرهم فكيف الامر اذن؟ هل نعدُّ كلَّ هؤلاء جهلاء ونحن العلماء؟ — فهذا كلام لا يقبلهُ سليم العقل ولا سليم الذوق وعليهِ:

فتَشبَّهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبُّهَ بالكرام فُلاحُ

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي

٣ دير ابي فانس

سرنا من المنيا لزيارة هذا الدير ووِجْهتُهُ الجنوب فنزلنا من السكَّة الحديديَّة عند المحطة الثالثة وهي إتليدم قرية تُرى على تُلة من الاطلال والرسوم الداثرة علوُّها نحو عشرة امتار الى خمسة عشر متراً. واسمها كما ترى اعجميّ لا يُردّ الى اصل ساميّ وارتفاع اتليدم فوق هذه الاخربة دليل بيّن على انَّ ثمَّت كانت قديماً بلدةٌ. وقد بقي

من آثارها في شمالي القرية عند مسجدٍ صغيرٍ سارية منبسطة على الحضيض فيها صورة صليب وعلى رأي اهل القرية انَّ هذا العمود كان في كنيسةٍ استولى عليها الخراب وصبر منها على الدهر بقايا صالحة تُرى تحت المسجد

والنصارى في اتليدم قليلون ليس بينهم من الكاثوليك سوى رجلٍ واحد وليس اصلهُ من القرية فنزلنا عندهُ ريثما يهيّئ لنا لوازم الطريق لزيارة دير ابي فانس وهو على مسافة ثلاث ساعات من اتليدم على طرف الصحراء الليبيَّة

ولا نصف المناظر التي قرَّت بها ابصارنا في سيرنا فانَّ وادي النيل كلهُ نضارة ومحاسن تتشابه جهاتهُ المختلفة. ومن وصف بعضهُ وصفهُ كلَّهُ

وبعد ساعتين ادركنا قريةً كبيرةً تدعى حور وهي بلا شك في موقع مدينة قديمة لما تحت ابنيتها المرتفعة من الردم والاخربة. وبينما كنَّا نسرّح العيون في مساكن الضيعة اذ سمعنا دليلنا يقول: «دونكم هذه الباحة التي ترونها امام الرَّحى البُخاريَّة فانَّها باحة كنيسة قديمة. فان الفعلة لمَّا حفروا لبناء الرَّحى وجدوا في الارض جدران بيعة وآنية كنسيَّة». واعلمنا بعدئذٍ الخواجا عليم افندي توما عامل البريد في اتليدم ان من جملة هذه الآنية كانت مبخرتان فضيتان وصليب من النحاس عليهِ كتابة يونانية واناء زجاجيّ للميرون. ولا عجب فان النصرانيَّة كانت زاهيةً نامية في كل هذه البلاد فانَّا توالت الاعصار وكثر الخراب اخنى الدهر على الآثار الدينيَّة فدرست ثم غطَّاها النيل بطينهِ اللزج الذي يجرفهُ كلَّ سنة في مجراه فصارت ابنيةٌ كثيرة في اعماق الارض. وممَّا يشهد على ذلك ان كنيسة الاقباط في بليانا قريباً من جرجا التي كانت سابقاً على سواء الارض صار حضيضها اليوم في سربٍ يُنزَل اليهِ بدرجات عديدة

ثمَّ بلغنا بعد قليل ضيعة أُخرى تشبه حور في كبرها وهي لاصقة بها تدعى قصر حور. فعلم بقدومنا كاهُن القبط الارثدكس وهو يُعرف هنا بالقسُّص فبادر للسلام علينا وهو رجل تلوح عليهِ مخايل النجابة والفضل. فدعانا الى بيتهِ واظهر لنا من الانس واللطف ما ذكَّرنا بما لقيهُ المرسل اليسوعي الاب سيكار قبل مئتي سنة من الاكرام لدى كاهن القرية نفسها وقد اتاح الله لهُ ان يهدي تلك النعجة الضالَّة الى حظيرة الكنيسة (١

(١ راجع الرسائل البانية (Lettres Edifiantes. Mémoires du Levant, T. II, 2e partie, *Lettre au comte de Toulouse*

امَّا القمُّص الحاليّ فانهُ سُرَّ بنا ايَّ سرور اذ علم أننا اتينا لنزور كنيسة ابي فانس لانهُ هو الذي عُني منذ سنةٍ بنزع ردمها وترميمها واقامة الذبيحة المقدَّسة فيها كل يوم احد

وكان سؤالنا لحضرة القمُّص ان يفيدنا شيئًا عن ترجمة ابي فانس المكرَّم في هذا المحلّ. فاسرع وارسل من يأتيهِ من الكنيسة بكتاب خطيّ قديم مكتوب بالعربية يحتوي ترجمة ابي فانس الحبيس مسطَّرة بقلم تلميذهِ افرام نلخص منها ما يأتي:

ابو فانس تصحيف الاب اسطفانس وهو احد العبَّاد الذين اشتهروا على عهد الملك ثاودوسيوس الكبير. كان منذ حداثتهِ مولعًا بزيارة النُّسَّاك فحملهُ مثلهم الى ان يقتدي بآثارهم ويسعى في طلب الكمال المسيحيّ. فطلب لهُ مكانًا معتزلًا عن الناس في الصحراء الليبيَّة فوجد مغارةً فوق جبل من مقاطعة اشمونين وراء قرية بوصير (١. وكانت هذه المغارة مظلمةً لا تنفذ فيها اشعَّة الشمس مطلقًا فحبس ابو فانس نفسهُ في الغور ومارس هناك اعمال النسك والاماتة. ثم دعاهُ الله الى اسعاف الفقراء وعيادة المرضى وتهذيب الاخوة المنقطعين الى العيشة الرهبانية في ذلك الجبل وتخريجهم في الامور الروحيَّة. وقد خصَّهُ الله بالكرامات وصنيع المعجزات. وقد اوحى اليهِ بوفاة الملك ثاودوسيوس في يوم وقوعها وهو بعيد عنهُ. وقد اسهب افرام بعد هذا في وصف تعاليم ابي فانس وارشاداتهِ للنسَّاك الذين كانوا يتردَّدون اليهِ لزيارتهِ. وختم ذلك بخبر موتهِ الصالح. قال: انهُ كان واقفًا فاحنى الرأس بهدوّ وفارق الروح في ٢٥ من شهر امشير (٤ آذار). وكان جسمهُ اضحى قحلًا يابسًا كعود النخل لكثرة اصوامهِ وشظف عيشهِ. (قال) وشادوا لاكرامهِ ديرًا قريبًا من بني خالب من كفور دلجا في مقاطعة اشمونين». هذا لباب رواية افرام الكاتب وفي المكتبة العمومية في باريس كتاب يتضمَّن ترجمة ابي فانس نظنهُ لا يختلف عن النسخة التي اختصرناها هنا

امَّا قرية بني خالب المذكورة هنا فموقعها على مسافة كيلومترين من قصر حور جنوبيّها. وامَّا دلجا التي في دائرتها كانت قرية بني خالب فبلدة كبيرة تبعد نحو عشرين

١) بوصير او ابو صير او بوسيريس مدينة كان موقعها في محل القريتين السابق ذكرهما اي حور وقصر حور وقيل ان اشتقاق اسمها من اسم بعض النسَّاك ولعلَّهُ هو ابو فانس نفسهُ (راجع وصف مصر لعلماء البعثة الفرنسية الطبعة الثانية ج ٤ ص ٢٣٩)

كيلومترًا في جهة الجنوب. فثبت اذن ان الدير الذي نحن الآن عازمون على زيارتهِ بصحبة القمُّص هو نفس الدير الذي ذكرهُ افرام الكاتب

فخرجنا من القرية وعبرنا الترعة الكبيرة المعروفة ببحر يوسف فوق جسر من المراكب ثم سرنا قليلًا بين المزارع حتى بلغنا الرمال التي تغطي منحدر السلسلة الليبيَّة وقسمًا من بطحائها. فاذا بدير ابي فانس لاح لنا عن بعد كنقطة سوداء فوق تلك الروابي وعلى بعد مئة قدم من جانبهِ الايمن صخور في وسطها المغارة التي عاش فيها رجل الله. وكانت خيلنا تسير سيرًا شاقًا بين تلك الآكام فتغوص قوائمها في كثبان الرمال الى ان افضى بنا المسير بعد الجهد الجهيد الى اسوار الدير العالية

وهذا الدير قد استولى عليهِ الخراب وكان في سالف الزمان يشبه اديار صحراء النطرون والصعيد الاسفل فيتحصَّن بهِ الرهبان لردّ غارات اهل البادية وكان في وسطهِ ابنية عديدة وجنينة وبرجٌ منيع ولم يبقَ من كلّ ذلك الَّا سور مربَّع تتداعى جدرانهُ. امَّا الكنيسة فسلمت من هذا الخراب الَّا انَّ الاطلال والرمال المحدقة بها لم تزل تعلو حولها حتى اقتضى الامر ان يُبالغ بالحفر لفتح بابها. وقسمٌ من داخلها حتى الآن تغمرهُ الرمال

واخذ القمُّص يقصُّ علينا ما تكلَّفهُ من العناء لتعز يل هذه الردوم من الخراب والمعابد التي على جانبيهِ. وقد وشى بهِ بعض الحسَّاد وزعموا انهُ يبحث عن كنوز خفية ألا انَّ نيَّاتهِ الحسنة قد بانت اليوم لكلّ العيان ولا احد يعارضهُ في عملهِ الصالح. ويا حبَّذا لو اجتهد محبُّو الآثار القديمة في تنظيم لجنةٍ لصيانة الآثار النصرانية وحفظها وترميمها. فانَّ ابنيةً كدير ابي فانس وكنيستهِ لجديرة بان تُصان من نوائب الدهر كاثر يطلعنا على هندسة النصارى الاقدمين

امَّا هندسة هذه الكنيسة فانَّها تجمع بين خواصّ طراز الكنائس اللاتينيَّة والكنائس القبطيَّة. فتراها مقسَّمة الى ثلاث اسواق يفصل بينها اثنا عشر عمودًا والسوق الوسطى تنتهي بحنيَّة على شكل نصف دائرة ولها معبدان هما كجناحيها على شكل عارضتي الصليب وكلُّ ذلك شائع في هندسة الكنائس اللاتينيَّة او البوزنطيَّة. لكنَّ المعبدين القائمين على جانبي الحنيَّة على خطّ واحد والقبب التي تعلو جناحي الصليب والمدخل المبني على جانب الكنيسة فكلُّ ذلك من الطراز القبطيّ. وزد عليهِ انَّ لمعبدي

جناحي الصليب معبرًا وراءهما على غير مألوف عادات كنائسنا . وقريباً من الحنيَّة ترى حتى الآن الفرن الذي كانوا يخبزون فيهِ خبز القربان وفي محلّ آخر حوض للمياه الجارية من جرن المعموديَّة كما تُرى في كل كنائس الاقباط (١

وهذه الكنيسة على اسم الصليب المقدَّس فاحبَّ بناتُها ان يثبِّتوا الصليب في طريقتها الهندسيَّة . وقد اكثر المصوّر الذي نقشها من رسم علامة الصليب في كل نواحيها. وهذه الرسوم اعجب ما يُرى في هذه الكنيسة فانَّ صورها مختلفة الاشكال ناصعة الالوان منظَّمة على طرائق شتَّى بصناعة بالغة اقصى الإحكام . ففي صدر الكنيسة ترى صلبانًا كبيرة الشكل مختلفة الالوان عليها صورة الكفن المقدَّس وآلات آلام المخلّص وفي القبب وعلى جوانب الاسواق صلبان صغيرة مشتبكة ببعضها بحيث ينتظم من اشتباكها الغريب صلبان أُخرى اعظم منها وترى هذه الصلبان الكبرى مندمجة في بعضها فيتركَّب منها صلبان نهاية في العظم . وقصارى القول انك تجد الصلبان المرسومة في كل جدران هذه الكنيسة حتى عواميدها من اسفلها الى اعلاها لا يخلو قدم مربَّع منها دون علامة سرّ الفداء مرسومة على اشكال مختلفة مع توافق عجيب في الالوان

وكان العلاَّمة الاب سيكار لمَّا زار هذه الكنيسة سنة ١٧١٦ لحظ بين هذه الصلبان صليباً في اطرافهِ الاربعة اربعة زهور من السوسن (⚜) محكمة النقش وقرأ في قبَّة الحنيَّة هذه الكلمات مكتوبة باللغة القبطيَّة « عود الحياة » . وقد تمكنَّا من اكتشاف الاثرين رغمًا عمَّا يحجبهما من بياض الكلس الذي دُهنت بهِ بعض اطراف الكنيسة مرَّتين منذ عهد الاب سيكار

وكانت عودتنا الى المنيا نصف الليل راكبين العربة التي تُلحقها ادارة السكة الحديديَّة بقطار الشحن رفقًا بالمسافرين المتأخرين عن قطار الركَّاب

٤ دير جنادلة

مررتُ يومًا بقرية دير جنادلة الواقعة على مسافة نحو ساعتين ونصف غربيّ سدفة ثالث محطَّة السكة الحديديَّة جنوبي اسيوط فسألت اهلها أيعرفون الدير الذي نُسبت

---

١) وقد نشر علماء البعثة الفرنسية رسم هذه الكنيسة في مجموعهم Description de l'Egypte, par les Savants de l'Expédition Française, *Antiquités* T. V, pl. 67

اليهِ قريتهم فاشاروا الى الغرب حيث تمتدُّ الصحراء الليبيَّة ووراءها الصخور العالية فقالوا لي: هناك الدير ولكن لا تستطيع ان تزورهُ وحدك لانَّ في كهوف الجبل وشعابهِ قوماً من قطَّاع الطرق يأوون اليهِ ودأبهم النهب والسلب. ومع ذلك اذا اردت ان تواجه اصحاب هذا الدير فهم عندنا يقيمون بيننا». فقصدت هؤلاء الرهبان ووجدتهم اثني عشر راهباً كلهم كهنة يعيشون من اوقاف ديرهم. فاكرموا وفادتي وامتاز بينهم في التحفي بي رجلٌ قويّ البنيَّة كثيف اللحية تظهر في وجههِ ملامح الفظاظة فبشَّ لي وفرح بمشاهدتي ولم تمرّ عليهِ سنة حتى طلب الانضواء الى الكنيسة الكاثوليكيَّة مع قومٍ من طائفتهِ وهو الآن راعيهم يتولَّى تدبيرهم

ثم اتَّفقنا مع ثلاثة من هؤلاء الرهبان على ان نركب بصحبتهم فنزور ديرهم. ولمَّا جُهِّزت معدَّات السفر سرنا معهم وكان يرافقهم احد خدَمتهم وعدد من الغفراء وكلنا راكبون الحمير وكان يتقدَّمنا احد الكهنة وبيدهِ البندقيَّة راسها الى فوق وقندقها على فخذهِ الايسر

وكانت طريقنا تسير الى اعلى الجبل على خطٍّ مستقيم بين جُثَى من الحجارة ألقاها زوَّار الدير تذكاراً لزيارتهم. وبعد سيرٍ واصلناهُ نحو نصف الساعة تراءى لنا سدَف الدير منتصباً بين الصخور المتوقدة باشعَّة الشمس. وهذا الدير قائم على مرقًى يعلو فوق الحضيض نحو عشرين متراً ووِجهتهُ الى الشمال الشرقيّ. وتلوح من تحتهِ الى اليمين مغاور نُحتت في الصخر

وعلى مسافة مئة متر من حلف الجبال بئر مطويَّة بنحيت الحجارة محكمة الصنع تعادل في حسنها احكم آبار فلسطين المنسوبة الى الآباء الاوَّلين عرضها اربعة امتار وعمقها ٢٥ متراً. فاحبَّ رفقتنا ان يشربوا منها فعمدوا الى حبل علَّقوا بطرفهِ اناء من تنك البترول فاستقوا ماء عذباً صافياً قلَّما يلقى المسافر مثلهُ جودةً في بلاد الصعيد. وكانت نَفَحات من الريح الشماليَّة تهبُّ في هذا المكان فتلطِّف حرارة الهواء. فاستنتجنا من ذلك انَّ قدماء النسَّاك كانوا يحسنون انتقاء مناسكهم لينقطعوا فيها لاعمال البرّ والتقشُّف

ولمَّا اقتربنا من الدير تحقَّقنا انَّ المغاور التي رأينا مداخلها انَّما هي مقالع قديمة نُحتت في القرون السالفة فاتخذها الرهبان كحُجَر ومآوى وجهَّزوا لها ابواباً ومنافذ ومقاعد

وخزانات واواخيّ لربط الدواب وحلقات لتعليق السُرُج في السقف. وكان لبعض هذه الغرف اروقةٌ في مُقدَّمتها تُرى حتى الآن حزوز الصخر الدالّة عليها

واكبر هذه الكهوف جعلهُ الرهبان كنيسة كما يظهر ذلك من صور القديسين والرموز الدينيَّة المنقوشة وبقايا رسوم ملوَّنة بالمغرة تُستشَفُّ حتى الآن في جدران هذه المغارة وسقفها ما وراء الكلس الذي طُليت بهِ

ويُصعد من هذه المغـاور الى الدير بدرج صعب المرتقى يؤدي الى باب مصفَّح بالحديد وجدناهُ مفتوحاً. ولهذا الدير سورٌ مبنيّ بنحيت الحجارة في اسفلهِ وبالآجرّ في اعلاهُ. واماَّ جدارهُ الغربيّ فهو منحوت بالصخر. وفي وسط السور ابنيـة غير متَّسقة. وكان في الجدار الغربيّ مقالع قديمة فوسَّعها الرهبان واضافوا اليهـا مباني جديدة لسكناهم

وكنيسة الدير هي اعظم هذه الردهات المنحوتة في الصخر ترى جدرانها وسقفها مزَّينة بالتصاوير الَّا انَّ السناج قد سوَّدها فلا تكاد تميّز بين هـذه الصور الَّا شيئاً قليلًا بينها صورة ملاك وصليب كبير وخطوط هندسية متشبكة. وفي السقف حلقتان للمصابيح. ومماَّ اخبرنا بهِ احد رفقائنا انَّ راهباً من كهنتهم الاقدمين كان يتعلَّق بيديهِ بهاتين الحلقتين فيبقى على هذه الحالة زمناً طويلًا يصلّي الى ان تخونهُ قواهُ فيفلتهما لشدَّة الوجع. ويلحق بهذه الكنيسة سوقٌ ثانية اصغر منها فيهـا معابد مبنية بازاء مدخل الكهف شرقاً. وهذا القسم كان مخصَّصاً باكرام البتول الطاهرة تشهد على ذلك كتابة بالقبطية والعربيَّة خُطَّت على باب المقدس مضمونهـا اوَّل السلام الملكي. ويوجد في الدير كنيسة غير هذه مشيَّدة على اسم الرسل الاثني عشر لم نجد فيها شيئاً يستحقُّ الذكر

ومن غريب الامور انَّ صخراً كبيراً تدحرج بالقرب من الكنيسة الكبرى فاحدث في الدير خرقاً بيّن رسمهُ الداخليّ كانَّ مهندساً قام بالامر لبيان اسرار هندسة البناء. وفي الطابق الاسفل الغرفُ العمومية التي كان يجتمع فيها الرهبان كمحلّ المائدة وغير ذلك. اماَّ منام الرهبان فكان في الطابق الاعلى فوق سقف من الصخر سمكهُ نحو مترٍ وفي جوانب هذا المكان ست او سبع خزائن كبيرة منقورة في الصخر فوق الحضيض بنحو متر ونصف. وكانت اسرَّة الرهبان مبنية تحت هذه الخزائن على شكل مناضـد في دائرتها اطارٌ عالٍ. وهذه الاسرَّة لم يبقَ لها اليوم اثر الَّا اننا وجدنا شبهها في دير مار

سمعان المعروف بالانبا هِدْرا قريباً من اسوان وفي دير الفاخوري الآتي ذكرهُ

واعلم انَّ تقسيم الرهبان للنوم في غرفٍ تحتوي الواحدة منها سبعة او ثمانية فُرش لأمرٌ درجَ في اغلب اديار الصعيد التي كانت تابعة لقانون القديس باخوميوس. ومَن راجع رسوم هذا المنشئ العظيم يرى بخلاف ذلك انهُ امر بان تُفرد لكل راهب قلّاية. ومن ثم فيكون القانون قد اختلف من هذا القبيل. ويُروى عن شنودَه رئيس الدير الابيض القريب من سوهاج وكان على عهد القديس باخوميوس انهُ جعل الرهبان اثنين اثنين. وشنُوده المذكور كان يدَّعي بانَهُ مُصلح لقانون القديس باخوميوس

وكنَّا قرأنا في رسالة لاحد قدماء رهباننا انهُ لمَّا طاف هذه البلاد بلغهُ خبر كنيسة قديمة ذات تصاوير ونقوش وكتابات موقعها في وادٍ قريب من دير الجنادلة الَّا انَّ سكَّان الناحية لم يرضوا بمرافقتهِ اليها خوفاً من اللصوص. فاحببنا ان نزورها ولم يوقفنا خوف اللصوص لكثرة عددنا. والوادي المذكور يُدعى بالوادي الشرقيّ ولا ريب انهُ دُعي بذلك لانهُ مدخل الى احدى الطرق المؤدّية الى الواح الشرقيّ في وسط الصحراء الليبيَّة. وهذا الوادي ينتهي عند السهل شمالًا على مسافة ٥٠٠ او ٦٠٠ قدم من دير الجنادلة

ومن قطع هذا الوادي تعجَّب من قحطهِ ووحشتهِ. فانَّك ترى عن شمالك في وسط الجبل صفوفاً من اغوار مربَّعة المداخل منقورة في الصخر ومن امامها اخربةٌ تسندها مصاطب ودكك من الحجارة. ومن جهة اليمين وادٍ آخر يتشعَّب من الوادي الاوَّل وفوق الربوة المشرفة على مُنقَسَم الواديين ابنية استولى عليها الخراب. وفي اسفلها عند منحدر الوادي مغاور أُخرى اكبر من مغاور الوادي السابق. ولهذه المشاهد نظرٌ مهيب لكنهُ مؤثر ومحزن معاً لانك لا ترى في تلك الديار ديَّارًا ولا اثرًا للنبات فانَّ الحياة قد فارقت تلك الاماكن فنشر عليها الموت اعلامهُ

وباشرنا بزيارة الاغوار الواقعة على يميننا لسعتها واوَّل ما وقع عليهِ نظرنا ردهةٌ كبيرة طولها مئتا متر في عرض مئة وعلوّ ستَّة او سبعة امتار وسقفها يستند الى سَوارٍ ضخمة. وهذه القاعة مفتوحةٌ من طرفيها فيدخلها نور الشمس وينتشر بين دعائمها فيكسبها منظرًا يسحر العقول ويفتن الالباب. وكانت هذه الردهة مقلعاً من الحجارة وحجارتها نُقلت الى حيث يعلم الله لانَّنا لا نرى في جوار هذا الوادي بناء قديمًا. ولعلَّها دخلت

في بعض الابنية المطمورة في الصحراء. وقد اتّخذ النصارى هذا المكان لعبادتهم كما يُستدلُّ عليهِ بالكتابات القبطيَّة المسطَّرة على جدرانهِ بالمغرة. لكنَّ اكثر هذه الكتابات يصعب قراءتها لموقعها في زوايا مظلمة

وهذا المقلع يمتدُّ على طول الجبل وينفذ من جانبه الآخر فلمَّا انتهينا الى طرفهِ وجدنا بازائنا كهوف الوادي الاوَّل وهي ايضاً مقالع قديمة للحجارة الَّا انَّ الآثار المسيحيَّة فيها اوفر. ودخلنا اول مغارة لقيناها فاذا هي كنيسة جميلة كلها منقورة في الصخر. وبلاطها الصقيل يتركَّب من الملاط الشديد الصلابة ووجه الصخر مطلي بالكلس والطين عليهِ تصاوير عديدة اكثرها بالوان المغرة الصفراء والحمراء. والحنيَّة على شكل نصف دائرة متجهة الى الشرق ولها قبَّة في ربع كرة منها صورة السيد المسيح وحدهُ جالساً على مائدة وهو يرسم سرّ القربان الاقدس. وعلى جانبيهِ رسلهُ واقفون ثلاثة عن يمينهُ وثلاثة عن شماله والباقون على الجدران التي بازائهِ. وتحت الصورة زينة على شكل اطار مشبَّك كما في كنيسة الدير. وكل هـذا المحضر حسن الرسم لا شيء يُستهجن في هيئة الاشخاص واوضاعهم. وفي جهات أُخر من المقلع صور قديسين آخرين الَّا انَّها دون الصورة السابقة اتقانًا. وفي الجدران كوًى منقورة في الصخر تزيّنهـا العمَد والطنوف والنقوش. وتُرى ثمَّت كتابات قبطيَّة عديدة لم نتمكَّن من قراءتها لعلوّها وصغر حروفهـا ولعلَّ هذه الكتابات لا تختلف عمَّا ترى عادةً مخطوطاً في كنائس الاقباط القديمة اعني انَّها تحتوي ادعيةً مختلفة الى الله عزَّ وجلَّ والى صليب الفادي ثم بعض الحِكَم او الآيات من الاسفار المقدَّسة اخصُّها الزبور يليها اسم الكاتب او المتوفَّى التي رُسمت على ضريحهِ الكتابة. وفي بعض الاحيان يُضاف الى ما تقدَّم تاريخ الشهداء. ودونك مثالًا عن هذه الكتابات نعرّبهُ عن كتابة قبطيَّة في كنيسة ابي حنّس التي وصفناها في مقالةٍ نشرناها في الرسالات الكاثوليكيَّة (١٨٩٤ ص ٤٩٣)

«كلُّ حياة الانسان كالغمام تنقشع وهموم هذه الحيـاة كالظلّ تتقلَّص واعمالهُ تعالى لا تُدرك ومن قام بازاء منبرهِ تعالى وجد جزاء اعمالهِ بالعـدل. امَّا انا فاذ قرب انحلال جسدي فاني اشعر باهوال الموت لانهُ لا بُدَّ لي ان اعود الى التراب كاجدادي. فاذكروني انا المسكينة فيرونيا وليرحمني الله انا المتوفَّاة في ٢٧ من شهر ابيب من سنة ٤٦٦ لديوقليسيانوس (٧٥٠ للميلاد)

وهذا التاريخ كما ترى بعد الفتح الاسلاميّ . وعندنا انَّ اكثر كنائس الاقباط القديمة التي تتشابه من حيث غورها في بطن الارض واشكالها وكتاباتها انَّما هي من بعد الفتح المذكور . ولعلَّ النصارى التجأوا الى هذه الاغوار ليمارسوا ديانتهم فيها

(التتمَّة لعدد آخر)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الرابع

الشقيق والشقيقة

ما كاد يتمزَّق ستر الليل حتى اخذت حركة الاشغال في بيروت . فكنت ترى في طُرقها زمرةً من العبيد يسعون لخدمة سادتهم . امَّا الفقراء والصعاليك الذين قضوا ليلتهم مشتملين باطمارهم تحت الاروقة الممتدَّة على جانب السكة الرومانيَّة المؤدِّية الى النهر او لاصقين بجدران حمَّامات اغريبا الدافئة فانتبهوا من رقدتهم وهم يتمطَّون بالاصلاب ويتحايدون عن طريق السابلة لئلَّا تدوسهم الارجل . وكان الفلَّاحون يتواردون الى البلد منهم من يحمل البقول على مناكبه . ومنهم من يسوق دابَّتهُ الموسقة بالفاكهة او بدواجن الطير او البيض . والجمَّالة يقودون بُعرانهم الى مرفإ المدينة عليها اخشاب الارز الضَّخمة المقطوعة في لبنان

ومع انَّ الفجر لم يُسفر بضيائهِ كنت ترى « دار الورود » تشعُّ نوافذها بانوار المصابيح على خلاف عادة سكَّانها وكان الخدَم في جلبة يدعو بعضهم بعضاً ويتأهبون لامر عظيم وبينهم الناظر ينتهرهم ويتهدَّدهم إن تأخروا وكان يصرخ : ألا تعلمون انَّ سفينة « العنقاء » على وشك دخول المرفإ فهيَّا اسرعوا كل السرعة

وما مرَّ على هذا القول بضع دقائق حتى صرَّ الباب على اعتابهِ فانفتح وخفَّ سانسان من العبيد الى جهة المرفإ . وكانا يسيران سيرًا حثيثًا فتتطاير عن جسمهما الفاخم اطراف ازارهما الابيض . وتبعهما بعد هنيهة عصابة من العبيد حاملين على اكتافهم محفَّةً فارغة أعدُّوها للقادم الشريف